

العقاد .. شاعراً

---

والشعرُ ألسنةُ تُفضى الحياةُ بها  
إلى الحياةِ بما يَطوِّبه كتمانُ  
لولا القريضُ لكانتْ وهى فاتنةُ  
خرساءً ليسَ لها بالقولِ تبيانُ  
ما دام فى الكونِ ركنٌ للحياةِ يُرى  
ففى صحائفه للشعرِ ديوانُ

عباس العقاد

## العقاد .. شاعراً

يعدّ عباس محمود العقاد ( ١٨٨٩ - ١٩٦٤ ) علماً من أعلام النهضة الفكرية والأدبية المعاصرة ، وشخصية ( موسوعية ) ، متعدّدة العطاء : فقد أسهم في الحياة الأدبية شاعراً وناقداً .. وفي الحياة السياسية سناضلاً ومؤرخاً ، وفي الحضارة العربية باحثاً ودارساً لكثير من الشخصيات العبقريّة في الإسلام والمسيحية ، وقد امتدت إسهاماته في الكتابة الدينية إلى كل ما يتصل بالأديان السماوية .. بل إن الشيطان نفسه كان موضوع واحد من أهم كتبه .. كما شارك في السياسة المعاصرة .. فقد كان وفدياً متصّباً أثناء حياة سعد زغلول ، وكان جريئاً في تمسكه بالديمقراطية مما سبب له الاعتقال والسجن والنفي .

من هنا فنحن إذ نستحضر ذلك كله نتشعب بنا السبيل ، وتتعّد الروافد الفكرية والفنية والإنسانية التي تثيرها شخصية العقاد .. لكن الزاوية المحددة التي نريد أن نسبر غورها هي محاولة البحث عن ملامح العقاد ( شاعراً ) . وما هو جدير بالذكر هنا أن المجال الأدبي : شعراً وناقداً ، كان أول ملمح ظهر به للجمهور وعالم الثقافة ، فقد عرف الناس العقاد أول ما عرفوه شاعراً وناقداً في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن .

إن العقاد كان شخصية عبقريّة في الفكر والثقافة و (عصايا) في النشأة والتعليم ، حيث ولد لأسرة فقيرة في أسوان ، ولم يتجاوز تعليمه الرسمي شهادة الابتدائية .. ومع ذلك فقد تقف نفسه ثقافة عريضة سواء في المجال العربي أو الغربي ، حيث شملت ثقافته : الأدب والنقد والتاريخ والحضارة والدين والفلسفة والسياسة . وفي مجال الأدب يؤكد بعض الدارسين أنه قرأ منذ وقت مبكر دواوين ابن الرومي والمتنبي وأبي العلاء المرعي وابن الفارض وابن حمديس الصقل<sup>(١)</sup> . كما قرأ كثيراً في الشعر الجاهلي والإسلامي خاصة : جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة ، ويؤكد كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » أنه اطلع أيضاً على شعرنا الحديث منذ عصر محمد علي .

وقد امتدت ثقافته الأدبية إلى كثير من النقاد والشعراء الإنجليز سيما شعراء الرومانسية أمثال : وردز ورث - شللي - كينس - لورد بيرون - توماس هاردي - ت . س . إليوت ، وكذلك الشاعر المسرحي الكبير وليم شكسبير .

وعلى هذا فإن العقاد حين بدأ طريقه في الشعر والنقد كان مستوعباً لروافد كثيرة من الثقافة القومية والعالمية . لقد كان العقاد واحداً من جماعة أدبية جديدة [ تضم أمثال : خليل مطران - عبد الرحمن شكرى - إبراهيم المازني - أحمد زكي أبو شادي وغيرهم .. ] ، وهذه الجماعة كما يقول عنها العقاد نفسه .. « ليست مقلدة للأدب الإنجليزي ولكنها مستفيدة منه ، مهتدية على ضيائه ، وهي

(١) عبد الحمى دياب : شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ط . النهضة العربية ١٩٦٩ ص ٦٤ .

على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز، لم تنس غيرهم ممن ترجم إلى الإنجليزية من الألمان والطلليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين .. ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى»<sup>(١)</sup> .

وهذه الثقافة الواسعة قد أثرت بشكل أو بآخر على شعر العقاد، الذي يمكن أن نقسّمه إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : أنتج فيها أربعة دواوين ، طبعت بعد ذلك في مجلد واحد بعنوان « ديوان العقاد » سنة ١٩٢٨ عن دار المقطم والمكتطف ، وهذا الديوان لم يطبع مرة أخرى .. وهذا ما يملأ النفس حسرة وألمًا على تراثنا الأدبي الذي نساعد نحن - بشكل أو بآخر - على ضياعه . وهذا المجلد يضم أربعة دواوين سبق أن صدرت منفردة ، وهي على الترتيب : يقظة الصباح ١٩١٦ - وهج الظهيرة ١٩١٧ - أشباح الأصيل ١٩٢١ - أشجان الليل ١٩٢٨ .

المرحلة الثانية : أنتج فيها العقاد بالإضافة إلى ما سبق خمسة دواوين ، صدرت مؤخرًا في مجلد واحد عن الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٣ بعنوان « خمسة دواوين للعقاد » ، وتضم الأعمال التالية مرتبة : هدية الكروان ١٩٣٣ - عابر سبيل ١٩٣٧ - رحي الأربعين ، أعاصير مقرب ١٩٤٢ - بعد الأعاصير ١٩٥٠ .

وقد صدر مؤخرًا (١٩٥٨) مجموعة شعرية بعنوان « ديوان من دواوين » ، وكما يوحى العنوان تضم هذه المجموعة بعض قصائد سبق نشرها في دواوين أخرى باستثناء قلة قليلة من شعره المتأخر .

### المرحلة الأولى في شعر العقاد

الحلقة الأولى في شاعرية العقاد تمثلها الدواوين الأربعة التي أشرنا إليها منذ قليل ، وتوسعب المرحلة من سنة ١٩١٦ - ١٩٢٨ ، وتمتد مرحلة الازدهار والخصوبة في شعره ، فقد بدأ يكتب الشعر - وهو في الخامسة والعشرين تقريباً - شأبًا ثائرًا متحمسًا تطوف به أحلام الشباب .. وأصداء القراءة وآمال المستقبل . يقول في مقدمة ديوانه الأول « يقظة الصباح » :

« لقد كان كلفى بالشعر أول العهد ولما لا أعرف سببه ، ولكنني الآن أكلف به معتقدًا أنه شاهد من شواهد نهوض الأمم ، ومرآة يتصفع فيها الناس صور نفوسهم في كل عصر وطور ... ثم يستطرد قائلاً : الشعر يعمق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة ، تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش .. »<sup>(٢)</sup> .

ولعل أهم سمة يمكن أن تتعرف عليها من خلال شعر العقاد المبكر هي سمة ( الرفض ) .. الرفض المطلق للتقليد . فقد كان العقاد - وزملاؤه من شعراء الرومانسية - يسمون سعيًا جادًا نحو

(٢) عباس العقاد : شعراء مصر وبناتهم في الجيل الماضي ط . دار الهلال سنة ١٩٧٢ في ١٥١ .

(٣) عباس العقاد : ديوان العقاد ط . المكتطف والمقطم - القاهرة - ١٩٢٨ ص ٩٠٨ .

التجديد ، الذى كان جوهره - فى تصورهم - البعد عما يمكن أن نسميه الأغراض التقليدية والموضوعات المألوفة ، مثل : الوصف - المدح - الرثاء - شعر المناسبات - الشعر التاريخى . لقد كان للشعر غرض أو موضوع عند الشاعر الإحيائى ، ثم جاء الرومانسى فقتل العناية إلى ( المضمون ) .. المضمون الذى يدور فى إطار الذات الشاعرة غناءً أو بكاءً .. وسوف يأتى الشاعر الواقعى بعد ذلك لينقل المضمون إلى ( الرؤية ) .. الرؤية الرحبة للإنسان والكون . وهذه الحفاوة بالمضمون الذائق والتعبير الخاص نجدها مع مطلع الصفحة الأولى من الديوان الأول :

هذا كتابى فى يدِ القراءِ ينزلُ فى بحر بلا انتهاءِ  
فيه من الحكمةِ والغباءِ وفيه من يأسٍ ومن رجاءِ  
وفيه من حبٍّ ومن بفضاءِ وفيه من صمتٍ ومن ضوضاءِ  
صورةٌ محيّاتى لعينِ الرائي<sup>(٤)</sup>

فى الديوان الأول « يقظة الصباح » يقدم الشاعر مجموعة متناثرة من القصائد التى يصعب أن يضمها إهاب فنى واحد ، فبعضها قصائد مترجمة من : شعر شكبير ومسرحه ، وشعر وليم كوبر ، وشعر بيرنز . ووضوح هذا المحور فى الديوان الأول يدل من ناحية على قوة تأثير العقاد بالشعر الإنجليزى بدرجة لم يستطع أن يتخلص منه .. ومن ناحية أخرى يدل على أن العقاد كان يكتب رغبة فى الكتابة دون أن تكون لديه ( قضية ) خاصة يعبر عنها .. وهذه السمة جعلت شعر العقاد وبعض معاصريه شعراً ضيف التأثير ضيق الانتشار .

وكما يعكس الديوان الأول تأثيره بالشعر الإنجليزى يكشف أيضاً عن بعض معارضاة لشعراء العربية أمثال : ابن الفارض والمتنبى .. وابن الرومى - الذى سوف يصدر عنه كتاباً فيها بعد - ولعل أهم هذه المعارضاة معارضته لقصيدة ابن الرومى ( التوبة ) ومطلعها :

أجنتك الورد أغصانُ وكُتبانُ فيهنَّ نوعانِ : تَفاحٌ ورمَّانُ

والعقاد حين يعارض ابن الرومى يطيل القصيدة - قصيدة الحب الأول ص ٢٧ - بدرجة توحى بانبهاره الشديد بشاعرية ابن الرومى والتلذذ بمحاكاته .. وشاعرنا يعبر فى القصيدة عن موقفه من الشعر والحب فيقول :

إني ألوذُ بشعري حين يطرقني من الطوارقِ نزالٌ وضيغانُ  
والشعرُ من نفسِ الرحمنِ مقتبسٌ والشاعرُ الفذُّ عند الناسِ رحمنُ

ثم يقول :

الحبُّ والشعرُ ديني والحياةُ معاً  
هي الحياةُ جَئِينُ الحبِّ من قِدمِ  
والشعرُ ألسنةُ تُفضي الحياةُ بها  
لولا القريضُ لكانتُ وهي فاتنةُ  
ما دامَ في الكونِ ركنٌ للحياةِ يُرى  
دينٌ لعمرِكَ لا تُفنيه أديانُ  
لولا التجاذبُ ما ضمتك أكوانُ  
إلى الحياةِ بما يطويه كتمانُ  
خرساءً ليس لها بالقولِ تبيانُ  
ففى صحائفِهِ للشعرِ ديوانُ<sup>(٥)</sup>

وخلاصة القول فيما يتصل بالديوان الأول أنه يفصح عن عدة محاور منها ما يتصل بالتعبير عن النفس، سواء أكانت نفس إنسان يتأمل الكون ، أم نفس شاعر ، ترى الشعر وحياً مقدساً وتعهده رسالة سامية في الحياة ، « فالشعر هو المعبر عن الحياة بل لولاه ما عرف للحياة طعم » . ورغم هذا الوعي اليقظ بأهمية دور الشاعر ووظيفته ، إلا أن العقاد يذكر بالمخاطب ما يؤكد إحساسه بالتشاؤم والحزن .. وهو في كل هذه المحاور ينطلق من ( فلسفة رومانسية ) في الشعر ، يؤكد دوماً في كل ما كتب - لا في هذا الديوان فحسب ، بل في كل أجزاء ذلك المجلد تقريبا - فهو يتاجى رفيق دربه في الشعر عبد الرحمن شكري ( ١٨٨٦ - ١٩٥٨ ) قائلاً<sup>(٦)</sup> :

ستغربُ شمسُ هذا العمرِ يوماً  
فهل يسرى إلى قبرى خيالُ  
وعسى طيفٌ من أهوى سَميرى  
وأحلمُ بالزواهرِ دائراتِ  
وبغمضُ ناظرى ليلُ الحمامِ  
من الدنيا بأنباءِ الأنامِ  
ويؤنسُ وحشتي ترجيعُ هامِ  
وبالزهرِ المنورِ والقَمَامِ

أما ديوان « وهج الظهيرة » فهو امتدادٌ لنفس الأوتار الفنية التي عزف عليها شاعرنا من قبل .. سواء فيما يتصل بالتأمل أو وصف الطبيعة أو التعبير عن الحب .. والحب هنا يبدو مركز الدائرة في الديوان ويصل إلى درجة رهيبة من الذاتية والمودة كما في قوله<sup>(٧)</sup> :

حبيبي الذى لست أعنى سوا  
وقبلةُ شِعْرِي التى أنتجى  
هـ - إذا فُهِتُ بالقولِ مُسترسلاً  
إذا أُجِملَ الشعرُ أو فُصِّلاً

كما يستمر في هذه المرحلة أيضاً تأمل العقاد الحزين ، وهو تأمل أقرب إلى التشاؤم المتلفس :  
ظمانُ ظمانُ لا صوبُ الغمامِ ولا  
عذبُ - المدامِ ولا الأنداءُ تروينى

( ٥ ) ديوان العقاد ص ٤٣ .

( ٦ ) ديوان العقاد ص ٩٩ .

( ٧ ) المصدر السابق ص ١٨٧ .

حيرانٌ حيرانٌ لا نجمُ السّما ولا  
 يقظانٌ لا طيبُ الرقادِ يُدا  
 معالمُ الأرضِ في الغبَاءِ تهديني  
 وني ولا سمرُ السّمارِ يُلهيني  
 ولا الكوارثُ والأشجانُ تبكييني  
 عن الدموعِ نفاها جفنُ مخزون<sup>(٨)</sup>

والأمر الجدير بالذكر هنا أن العقاد يقدّم لبعض قصائده بفقرات (نثرية) .. وربما كان هذا إحساساً غير واعٍ من الشاعر بأن شعره غير مُبين ، فاضطر إلى أن يشرحه بكلام نثرى . وينكر محمد مندور على العقاد هذه المقدمات النثرية ، ويرى أنها « ضرورة أحوج الشاعر إليها إحاسه بقدر من الفموض في شعره بحيث لا يفهم بغيرها »<sup>(٩)</sup> .

والجزء الثالث « أشباح الأصيل » - يلاحظ ما في عناوين الدواوين من رمز يشخص الليل والنهار - امتداد لما سبق ، ولعل أفضل ما هذا الديوان بل في كل شعر العقاد القصيدة الطويلة « ترجمة شيطان » ، التي يقدّم لها أيضاً بمقدمة نثرية تلخص قصة ذلك الشيطان ( المتخيل ) .. وقد كتبها الشاعر - مترجماً بعض ما كان يعتريه من الألم واليأس بعد الحرب العالمية الأولى . وقد صاغها في شكل ( الرباعية ) التي تعتمد على أربعة أسطر تتفق في القوافي الداخلية والخارجية .. وهو يبدأ القصة الشعرية على هذا النحو:<sup>(١٠)</sup>

صاغهُ الرحمنُ ذو الفضلِ العميمِ  
 ورمى الأرضَ به رمى الرجيمِ  
 خلقهُ شاءَ لها الله الكنودُ  
 قدرَ السوءَ لها قبلَ الوجودِ  
 غسقَ الظلماءِ في قاعِ صقرِ  
 عبرةً فاسمَعُ أعاجيبَ العبرِ  
 وأبى منها وفاءَ الشاكرِ  
 وتعالى من عليمِ قادرِ  
 قال كوني محنةً للأبرياءِ  
 فأطاعتَ يالها من فاجرةِ  
 ولو استطاعتَ خلافاً للقضاءِ  
 لاستحقتَ منه لعنَ الآخرةِ

وحين نصل إلى الجزء الرابع وهو « أشجان الليل » نجد فيه شيئاً ملفتاً طالما شجبه العقاد وعده مثلية كبيرة بالنسبة للشعر .. وهو ما يمكن أن يسمى « بشعر المناسبات » ومعظمه يتصل بسعد زغلول ورتاء محمد فريد ويوم الشهداء .. إلخ .

وتنتهى من هذا العرض السريع إلى أن دواوين المرحلة الأولى تعبر عن نفس الإطار الرومانسى المتأمل الحزين الذى كان يكتب فيه عبد الرحمن شكرى .. ولكن السمة المسيطرة على شعر هذه المرحلة كلها ، هو ما يمكن أن نسميه برود الشعرية أو ضعف الحسن الفنى .. فأنت إذ تقرأ

( ٨ ) الديوان ص ١٩٤ .

( ٩ ) محمد مندور : الشعر المصرى بعد شوقى . ط . نهضة مصر بالجمالة ج ١ ص ٨٢ .

( ١٠ ) الديوان ص ٢٢٨ .

الشعر لا تحس بنشوة فنية أو دهشة شعورية أو حتى موسيقى ثرية .. إنه شعر مثل الماء القراح ، قد يكون نقياً من الشوائب .. لكن لا طعم له ولا لون ولا رائحة. ومن عجب أن هذا البرود الفني يتصل بكل شعر العقاد .. حتى شعر الحب ، الذي يتسم عند كل شاعر بخصوصية محددة وملامح متفردة ، لقد كان العقاد يُغازل وهماً فجاء نسيبه سراياً ، وعلى هذا تبدو الحبيبية مغيبة الصورة والمعاطف مصطنعة . يؤكد هذا أيضاً أننا نجد في شعره كثيراً من ( المقطوعات ) الشعرية .. فنفسه الشعرى بصفة عامة قصير .. وسوف يتأكد هذا في شعره التالي حيث يندر عنده القوائد الطوال .

ومن عجب أن المازني في تقديمه للدويان يناصر زميله بتحيز واضح ، ويشيد به : كأنما أتى بما عجزت عنه الأوائل ، وهذا ما يشي بقدر كبير من الجمالة والمغالطة ... من ذلك قوله :

« بحر بلا انتهاء .. هذا هو الذي بين أيدي القراء ، موج فوق موج ، ودفاع بعد دفاع ، ورغوة من وزائها رغوة ، وحركة في إثر حركة ، وأواذي مصطفقة ، ورياح مصطخبجة ، ومد وجزر وضوضاء ، كأنما انطلقت شياطين الأرض تعزى ... »<sup>(١١)</sup>

### المرحلة الثانية

توقف العقاد عن الشعر كما توقف من قبل زميله شكري والمازني لأسباب ذاتية ، بعضها يرجع إلى ما حدث بينهم من خلافات شخصية ومعارك أدبية ، كذلك يبدو أن طموحهم الشعرى كان أكبر من طاقاتهم .. فقد كانوا ذوى صيحات جريئة في النقد وقبذات متواضعة في الأدب . ومن الطبيعي أن يقابل شعرهم بفتور لأكثر من سبب .. أهم تلك الأسباب هو ضعف الشعر نفسه الذي قدموه ، لكنهم توهموا أن المجتمع غير قادر على تقبل ما أحدثوه من تجديد ، لذلك اعتزل شكري الشعر والحياة وحبس نفسه داخل أسوار ذاته ، كذلك طلق المازني الشعر طلاقاً باتناً لا رجعة فيه وانصرف إلى الرواية والمقالة ، أما العقاد الذي كان شبه متفرغ للشعر والنقد في المرحلة الأولى فقد اتسعت دائرة اهتماماته الفكرية والسياسية في حزب الوفد ثم الحزب السعدي .. وعلى هذا فقد أصبح الشعر عنده أحد الاهتمامات الفرعية ، التي تصدر عن مجرد الرغبة العنيدة في مواصلة النظم وإثبات القدرة على الشاعرية ، لذلك فإن معظم شعر هذه المرحلة تكرر لما سبق أن عرّف عليه من أوتار فنية .

وأول دواوين هذه المرحلة - «هدية الكروان» ١٩٢٣ - يقسمه الشاعر إلى مجموعة من ( الموضوعات ) الشعرية مثل : الكروانيات - غزل ومناجاة - صفات وتأملات - قصائد متفرقة في التهنئة ، ثم قصيدة في هجاء الدهر وأخرى في رثاء حسين الحكيم . ويلاحظ أن هذا الديوان قد صدر في نفس السنة التي صدرت فيها رواية طه حسين «دعاة الكروان»<sup>(١٢)</sup>

أما ديوان « عابر سبيل » فهو أكثر دواوين العقاد دلالة على إفلامه الشعرى ، لأن الديوان تجريب بالنظم لفكرة مجردة راودت الشاعر، مؤداها أن كل موضوع في الحياة صالح لأن يعبر عنه بالشعر ، مثل : بيت يتكلم - أمام قصص القرد - وجهات الدكاكين - الفئاق - قطار عابر - المصرف - كواء الثياب - سلع الدكاكين - الطريق في الصباح - على سفح الهرم - عسكري المرور . الذي نظم فيه هذه المقطوعة :<sup>(١١١)</sup>

متحكّم في الرّاكبين	ومآله أبداً ركوبة
لهم المشوبة من بنا	نك حين تأمر والعقوبة
مرّ.. ما بدا لك في الطريق	ورض على مهل شعوبه
أنا.. نائر أبداً ما	في ثورق أبداً صموبه
أنا راكب رجلى فلا	أمر على ولا ضريبه
وكذاك راكب رأيسه	في هذه الردينا العجيبه

أما ديوان « وحى الأربعين » الذي كتبه بعد أن وصل الأربعين من عمره ، وبعد أن طالت رحلته في عالم الشعر والتقد ، ومع ذلك نراه في المقدمة يعرف الشعر هذا التعريف الغائم غير المحدد .. « إن من أراد أن يحدّد الشعر في تعريف محدود لکن يريد أن يحدّد الحياة نفسها في تعريف محدود ، فالشاعر لا ينبغي أن يتقيّد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب ، وهو « التعبير الجميل عن الشعور الصادق » . وكل ما دخل في هذا الباب فهو شعر وإن كان مدحاً أو هجاءً أو وصفاً للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث »<sup>(١١٢)</sup> .

وعلى هذا نلاحظ أن هناك يونياً شاسعاً بين آراء العقاد في التقد وبين قصائده الباردة في الشعر ، وقد قسم العقاد الديوان إلى موضوعات مختلفة تبدأ : بتأملات في الحياة - خواطر في شئون الناس - نعص وأمثال ، تضم بعض شعر مترجم لأساطير يونانية - وصف وتصوير - غزل ومناجاة ، وغزل العقاد كما يسميه « غزل فلسفى » . « لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان « بالفزل الفلسفى » وقد أضحكى بعضهم حين سألتى متباصراً : وهل الفزل الفلسفى مما يصلح لاستهواء الحبيب ؟ فقلت له : ومن الذى زعم أننا لا نتفزل إلا لاستهواء الحبيب ؟ .. »<sup>(١١٣)</sup> .

هكذا يبدو العقاد مجادلاً صعب المراس على المستوى النظرى ، وشاعراً محدود الطاقة على مستوى الإبداع . ومن عجب أنه يقرّ هذه الحقيقة - دون أن يعى - حينما قال<sup>(١١٤)</sup>

( ١٢ ) عباس العقاد : خمسة دواوين للعقاد ط . الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٣ ص ٣٩٢ .

( ١٣ ) المصدر السابق ص ٣٩٨ .

( ١٤ ) المصدر السابق ص ٢٩٩ .

( ١٥ ) المصدر السابق ص ٣٠٩ .

مالي أفكرُ في الحياة ولا أرى . شيئاً يقرُّ بها على التفكير  
أني مضيتُ بها انقطعتُ كأنتي شجرٌ على الدنيا بغيرِ جذورٍ

ويعلل العقاد سرَّ تسميته للديوان الرابع « أعاصير مغرب » فيرى أنه « اسم صالح لجملة الشعر الذي احتوى هذا الديوان ، لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التي هزّت كيان الشيخ هاردي - ( شاعر إنجليزي ) - فتحنّ من أجلها ذبولاً في القلب كذبول إهابه »<sup>(١٦)</sup> .

وليس من اليسير أن نصدّق مقولة العقاد .. فهو - مثل كل شعراء الرومانسية - لا يهيمه العالم الخارجي بقدر ما يهنيه العالم الداخلي للشاعر . الحقيقة فيها يبدو أن ( المغرب ) ليس مغرب العالم أثناء الحرب العالمية الثانية ، وإنما للغروب الرمزي - هنا - علاقة بإحساس الشاعر ببعجزه وضعفه . بعد أن وصل إلى مشارف الستين من عمره . يؤكد ما قلناه أن الشعر لا يعبّر - في الديوان - عن شيء مما أصاب العالم من كوارث الحرب .. وإنما استمر يعرّف على نفس أوتاره السابقة ، خاصة الحب - ربّما تشبنا بالحياة وتصايا في الروح ..

« ياقتاني »

ياحياتي لا تراعى بعد هذا من فراقٍ أو فواتٍ  
قَدَرُ الله كَفَيْلُ لك في كاضٍ وآتٍ  
كُلُّها فرَقٌ شملينا دعانا فالتقينا<sup>(١٧)</sup> .

ونشير إلى أن هذه القصيدة - ولو أن مثلها قليل - تعكس قدرًا من التجديد الموسيقي ، يمهّد للشعر الجديد ( الحرّ ) فيها بعد .. فالقصيدة من بحر « الرمل » ، بيد أن العقاد يقدّمه بطريقة فيها قدر من الابتكار والتجزئ للوزن والتغيير للقافية ، إذ نجده في كل مقطع يبدأ بتفعلية واحدة من « فاعلاتن » تتكرر مرتين ، يليها ثلاثة أشطر في كل منها ثلاث تفعيلات بقافية تتغير بتغير المقطع باستثناء الشطر الأخير، الذي يلزم قافية واحدة .

أما الديوان الأخير فهو « بعد الأعاصير » لأنه صدر بعد ديوان « أعاصير مغرب » .. وبالطبع لا يمكن أن ننتظر شيئاً جديداً فيه ، فهو امتداد باهت لكل ما سار عليه الشاعر ، كما يلاحظ أن شعر المناسبات مستمر في المرحلة الثانية من شعره ، ووقع فيها كان يؤاخذ به شوقي ١١ .

( ١٦ ) خمسة دواوين ص ٩١ .

( ١٧ ) تراجع القصيدة كاملة ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

كذلك ظهر قدر من الشعر في هذه المرحلة عنده ساء شعر الفكاهة -، بالطبع سبقه شوقي إلى هذا الموضوع - وهي مقطوعات قصيرة ومحدودة، مثل هذه الأبيات التي ينتثر فيها على الحب السريغ والشعر الجديد معاً: (١٨)

سألت: ما بالهم قَد تركوا غزلَ العشاق في الشعرِ الجديد؟  
قلت: هل دَامَ غرامُ بينهم ريشاً يفرغُ من نظمِ القصيد؟  
سرى العهدُ الذي يروى لنا كلُّ عشرين غراماً في نَشيد



من خلال هذا العرض الموجز لكل إنتاج العقاد في الشعر يتضح أنه من حيث فلسفة الفن يدور في إطار الشعر الرومانسي، الذي يرى أن وظيفة الشعر هي التعبير عن الذات الشاعرة، لكن العقاد تجاوز التعبير عن ذاته كثيراً إلى موضوعات الشعر الإحيائي وإلى افتعال مواقف شعرية - كما في ديوان عابر سبيل - لينظم فيها.. لكن تجربة العقاد في مجملها متواضعة القيمة. لقد كان العقاد ناقدًا له درره الكبير وأراؤه الذكية، لكن شعره رغم الكثرة (قد يزيد من حيث الكم عن شعر حافظ ومحمد عبد المطلب وأحمد محرم.. وربما أحمد شوقي) ليس له أثر أو تأثير في الوسط الثقافي أو عالم الشعر. والعقاد ليس بدعة في هذا القصور الفني، فزميلاه شكري والمازني أيضاً يشاركاه نفس المستوى والمصير، فترانيمهم «لا يكاد يكون له جمهور قارئ أو حضور يقظ في إنتاج من جاء بعدهم من الشعراء.. لذلك فإن آراءهم في النقد والتنظير الجمالي أروع بكثير من إسهاماتهم الشعرية المتواضعة» (١٩).

هكذا لم يستطع أي من هؤلاء الشعراء المجددون الثلاثة شكري - العقاد - المازني، أن يصل إلى ما وصل إليه شوقي من عبقرية أدبية ومن مكانة بين الجمهور، فالعبقرية في الفن لا تقوم على مجرد الوعي النظري بصناعة الفن وأساليبه، وإلا لكان علماء اللغة والبلاغة أشعر الناس. رحم الله العقاد فقد كان شخصية كبيرة في مجال الثقافة العربية المعاصرة، ولا يصيبه أن يكون شاعراً متواضع القامة، إذ ليس شوطاً أن يكون العبقرى عبقرياً في كل المجالات.

(١٨) خمسة دواوين ص ٣٦٥.

(١٩) طه وادي: شعر ناجي.. الموقف والأدابة ط. دار المعارف (الثانية) ١٩٨١ ص ٤٤، ٤٥.

• قدم هذا البحث في المؤتمر الخاص بالذكى المتوية لمولد العقاد - في كلية آداب قنا - أكتوبر ١٩٨٩.